الفصل الرابع

البث الإذاعي في العالم العربي

محمد عايش

شهد العالم العربي ظهور البث الإذاعي في أوائل العشرينيات عندما كان هواة الراديو يقومون بعمليات بث لاسلكية في بعض المستعمرات الأوروبية السابقة للمنطقة "بويد ١٩٩٩" ولكن و بغض النظر عن أهمية الإذاعة في المنطقة إلا أنه من الواضح أن العلامة البارزة للإذاعة في البلدان العربية كانت هيمنة الدولة الشديدة والانتشار الواسع بين الجماهير خاصة في المجتمعات ذات تقاليد تواصلية شفهية عريقة ويشار إلي أن تطور البث الإذاعي في العالم العربي كان نتاج متغيرات عديدة معظمها سياسي وثقافي وتتعلق في الغالب بدور تلك الوسيلة كأداة للتعبير الوطني والتعبئة السياسية والتنمية الثقافية "روج ١٩٧٩".

بدأت هيمنة الدولة علي الخدمات الإذاعية تضعف في أوائل التسعينيات عندما بدأت مؤسسات إذاعية غير حكومية ذات أجندات سياسية واجتماعية جديدة في الظهور علي موجات هوائية ذات إرسال محلي في معظمه وتقدم محتوى اجتماعيا وترفيهيا خفيفا يتعارض مع برامج الإذاعة الحكومية الرسمية ذات التوجه البروتوكولي. ويذكر تقرير دولي أنه مع بداية القرن الحادي والعشرين أصبحت الإذاعة العربية تحت سيطرة ثلاثة توجهات رئيسية و هي ظهور محطات FM المستقلة وإطلاق المحطة الأمريكية "سوا" والتي انطلقت في مارس ٢٠٠٢ والتغيرات في التشريعات التي تحكم أنظمة الراديو والتليفزيون "معهد بانوس ١٧/٢٠٠٦ " .

يستعرض هذا الفصل مشهد الإذاعة في العالم العربي حيث أنها بدأت في النمو في أوائل التسعينيات ويسلط الضوء علي ديناميكيات البث الإذاعي في منطقة معروفة منذ وقت طويل بأنها ذات تقاليد لفظية فوقوية في الاتصال و يوضح الدور المتغير للإذاعة من أداة للتنمية الوطنية الكلاسيكية إلي التعبئة السياسية إلي الترويج للتحول الديمقراطي النابع من المجتمع كما يلقي الضوء علي وظائف الإذاعة في عصر التكتل الإعلامي

openkanal.com

و الذي يقدم فرصا و تهديدات للمحطات الإذاعية في بيئة تحددها الوسائط المتعددة التي ظهرت حديثا و النقطة الرئيسية هنا هي أن البث الإذاعي يجب أن يبقي في العالم العربي حيث تزداد الفرص لتطويره كلما قل احتكار الدولة له،وأذيعت برامج يمولها القطاع الخاص و كان هناك دعم لبرامج ذات توجه مجتمعي و كان هناك اهتمام ببرامج أكثر انفتاحا تبعا لظهور المزيد من الجماعات الاجتماعية المتباينة و كلما تكاملت الخدمات الإذاعية مع وسائل الإعلام الجديدة من خلال الإنترنت و أنظمة البث الفضائي، و علي الرغم من الآثار المحتملة لهذه الاتجاهات علي البث الإذاعي، فإن الإذاعة أمامها طريق طويل في المجال العربي الجماهيري لكي تساهم في المناقشات البناءة بشأن قضايا تتعلق بالإصلاح الديمقراطي و التنمية السياسية ، و يعتبر هذا الدور الموعود دلالة علي عمق و اتساع التحولات المجتمعية و السياسية في العالم العربي و التي لها تأثير علي المجال ألإعلامي بأكمله بما فيه البث الإذاعي (مركز القاهرة ٢٠٠٦).

إن المساحة الشاسعة بالإضافة إلي الطبيعة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتنوعة للمنطقة يمنعنا من تقديم وصف شامل للإذاعة فيها ، وعموماً ، يحدد الكاتب بعض الملامح والاتجاهات التي تشترك فيها أنظمة البث الإذاعي الوطنية دون أن يغفل تحليل بعض السمات الغربية لبعض المحطات الإذاعية في مناطق مختلفة في المنطقة ، ويلاحظ أن قلة الأبحاث التجريبية المتعلقة بالبث الإذاعي كانت عقبة رئيسية أمام هذا الوصف للإذاعة ، وعلى الرغم من أن النقطة المحورية لهذا الفصل هي تطور البث الإذاعي في العالم العربي في التسعينيات وما بعدها إلا أن ثمة استعراض لتاريخ الإذاعة قد يكون هاديا لنا، لأن الكثير من ملامح النظم الحالية للإذاعة موروثة من تقاليد إذاعة عمرها ستة عقود من الزمن.

استعراض تاريخي

علي الرغم من أنه من الصعب تحديد بداية نشأة الإذاعة في العالم العربي ، إلا أن معظم الباحثين يعودون إلي العشرينيات من القرن الماضي عندما كان هواة الإذاعة يقومون بتجريب الإرسال اللاسلكي في مصر والجزائر وتونس (بويد ١٩٩٩) حيث قامت القوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية والإيطالية بإدخال خدمات البث الإذاعي في

البلاد العربية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط لكي يروجوا لمصالحهم في هذه المناطق وليجعلوا بني جلدتهم من المستعمرين علي اتصال ببلادهم الأصلية ، وعلي الرغم من أن البث الإذاعي كان تحت سيطرة السلطات الاستعمارية بشكل كبير إلا أنه يبدو أن الشعوب المحلية استفادت من متابعتها للإذاعة بصفتها أجهزة استقبال وإرسال للمعلومات.

يبين بويد (١٩٩٩، ٢٠) أن البث الإذاعي في مصر بدأ بطريقة عشوائية في العشرينيات بوجود ما يزيد علي مائة محطة لاسلكية للهواة معظمها في منطقة القاهرة وفي لبنان شيدت أول محطة إذاعية عام ١٩٣٧ علي يد الحكومة الفرنسية لمواجهة الدعاية الإذاعية الايطالية والألمانية باللغة العربية ، وفي سوريا ظهر البث الإذاعي عام ١٩٤٦ مع إنشاء هيئة الإذاعة السورية في حين أن الإذاعة الأردنية تعود في نشأتها إلي خدمة الإذاعة الفلسطينية والتي انطلقت في ٣٠ مارس من ١٩٣٦ من قبل سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين والأردن (ستانتون ٢٠٠٧)، وبدأ البث الإذاعي في الجزائر في عام ١٩٣٧ لخدمة التجمع الفرنسي القوى الذي كان يبلغ قوامة مليون نسمة والذي كان يطلق عليه الشركة الفرنسية الخماسية وكانت معظم البرامج الجزائرية تبث من باريس حيث أن إمكانيات الإنتاج في الجزائر كانت محدودة كي تلبي احتياجات البث الإذاعي على مدار الساعة

جدول رقم (٦) : خدمات إذاعية مختارة

الإمارات العربية المتحدة	العربية FM٨٩,٩	تجارية
	الخليجيةFM١٠٠,٩	تجارية
	City 101FM	تجارية
	HIT ٩٦,٧ FM	تجارية
لبنان	راديو NBN(شبكة الإذاعة الوطنية)	تجارية
	راديو الشرق	أسرة الحريري
	صوت الشعب	الحزب الشيوعي اللبناني
	صوت لبنان	الجيش اللبناني

	لبنان الحر	حزب الكتائب
	راديو لبنان	الحكومة
	راديو النور	حزب الله
	راديو جبل لبنان	حزب جمبلاط
	راديو الفجر	السنة
فلسطين	راديو أمواج	تجارية
	راديو أجيال	تجارية
	راديو بيت لحم ٢٠٠٠	تجارية
	راديو ايزيس	تجارية
	راديو الخليل	تجارية
	راديو مرح	تجارية
	الحرية- الخليل	تجارية
	راديو نابلسFM	تجارية
	المنار ٢٨	
	راديو الشباب	
	MoodFM	
	PlayFM	
	مزاجFM	
	Radio Bea	
	صوت الغد	
	راديو روتانا	
الأردن	Amman.net	الإنترنت
	الحياة FM	مستقلة
	صوت كرك٣٠	تجارية
مصر	نجوم FM	تجارية

operanet.com

	راديو النيل١	تجارية
سوريا	المدينة	تجارية
	العربية	تجارية
	سوريا الغد	تجارية
	Style FM	تجارية
	Melody FM	تجارية
	فرح FM	تجارية
مراكش	راديو يا بلادي	الإنترنت
	راديو كازابلانكا	
الجزائر	الإذاعة الجزائرية	

وفي مراكش بدأ البث الإذاعي في فبراير من عام ١٩٢٨ من الرباط بموجة متوسطة سعتها ٢ كيلو وات وانطلقت إذاعات الهواة في تونس في عام ١٩٢٤ حيث كانت موجهة للمستعمرين الفرنسيين في مدينة تونس وما حولها(بويد ١٩٩٩- ٢٦٣)، وانطلقت خدمات BBC العربية من استوديوهات لندن في يناير من عام ١٩٣٨ كي تواجه الدعاية السياسية الإيطالية والألمانية الموجهة للأقطار العربية "عايش، ١٩٩١".

كانت أنظمة البث الإذاعي في العصور الاستعمارية مصممة علي الأساليب القائمة آنذاك في كل من فرنسا وبريطانيا حيث كانت سيطرة الدولة القوية هي التي تحدد عمليات الإذاعة وتظهر هذه بوضوح في البلدان التي كانت تقع تحت الحكم الاستعماري الفرنسي حيث أنشأت كيانات مركزية لإدارة الخدمات الإذاعية كجزء من إدارات الإعلام للدولة، و لم تنعكس تقاليد خدمات الإذاعة العامة البريطانية في أنظمة الإذاعة في المستعمرات البريطانية مثل مصر والأردن والعراق واليمن لأن السلطات المحلية كانت تبدو حريصة علي إخضاع خدمات البث الإذاعي تحت سيطرتها السياسية ، ويبدو أن الخدمات الإذاعية التي انطلقت في المرحلة الاستعمارية كانت تتبنى النهج الإذاعي الأمريكي التجاري لأسباب عديدة أبرزها عدم ملاءمة أسواق الإعلان المحلية لدعم الإذاعات الخاصة و انتشار التقاليد المتسلطة في المجتمعات

العربية علي الرغم من افتتاح عدد قليل من المحطات الخاصة في مصر ومراكش وتونس ، وفي ذلك الوقت ، كان يوجه البث الإذاعي للنخبة الذين يستطيعون تحمل تكلفة أجهزة الاستقبال الإذاعية كانت توضع أجهزة للراديو في كثير من البلاد العربية مثل المطاعم والمقاهي حيث يمكن للعملاء أن يستمعوا إلي الأخبار والموسيقى كجزء من خبرتهم خارج المنزل ، وفي المناطق الريفية كان هناك تقريباً غياب للإذاعة حيث كانت شبكات التواصل التقليدية الشخصية هي مصدر الأخبار اليومية.

عصر ما بعد الاستعمار

الاقتصادية والاجتماعية ، كما استمر البث الإذاعي في أغلب البلدان العربية خاضعاً لسيطرة الحكومة ليقوم بعمل الناطق الرسمي لسياسات الدولة حيث أخضعت معظم المحطات الإذاعية لسلطة وزارات الإعلام مع وجود استقلال مالي وإداري محدود ، وكان الناس يرون أن الإذاعة يمكنها أن تلعب دوراً مؤثراً في التنمية الوطنية خاصة في المناطق النائية التي تتميز بمعدل أمية مرتفع وتقاليد اتصال لفظية قوية. وبهذا المفهوم أصبحت الإذاعة حاضنة لما أصبح معروفاً بنموذج "التنمية والتحديث" والذي أمكن من خلاله للإذاعة العمل علي الترويج لأهداف التنمية الوطنية في المجالات الاجتماعية والثقافية (ليرنر ١٩٥٨) ، وتفترض دراسة عن الأنظمة الإذاعية في العالم الثالث (الذي يضم بعض الدول العربية) دوراً مؤثراً لبرامج الإذاعة في الترويج للرؤى السياسية العامة وتعزيز الدور الثقافي والوطني وتدعيم شبكات التواصل اللفظي (كاتز و ويدل ١٩٧٧) ، وبناءً علي هذا الإحساس بالنجاح كانت الدول حريصة علي إطلاق محطات إذاعية ذات ترددات وموجات متوسطة وقصيرة للوصول إلي المستمعين في المناطق النائية ، كما استخدمت دول كالسودان ومصر والجزائر وليبيا والمملكة العربية السعودية أنظمة ميكروويف لضمان وصول الإشارات إلي الجماهير المستهدفة.

لقد أفرزت الطبيعة الاستبدادية للأنظمة السياسية العربية في عصر ما بعد الاستعمار (باستثناء لبنان والكويت ومراكش) نظاماً إذاعياً يركز بشكل كبير علي الحوار أحادي الاتجاه والذي يدور حول الشخصية مع اهتمام قليل بالتنوع السياسي والعرقي ، حيث كان موضوع القومية العربية والنضال ضد الاستعمار الغربي هما الهدفين اللذين يميزان معظم الأنظمة الإذاعية العربية (عايش ٢٠٠١) وفي مصر ذكر جيمس

(٢٠٠٦) أن أول برنامج في إذاعة صوت العرب والتي انطلقت في الرابع من يوليه ١٩٥٣ تضمن بياناً مقتضباً لقادة ثورة يوليو مناهضاً للاستعمار.

حصل الأميون الفقراء في المدن والقرى عبر الشرق الأوسط علي أجهزة راديو رخيصة وحديثة بما يضمن مزيداً من الاستماع لإذاعة صوت العرب. ويذكر جيمس(٢٠٠٦) أن إذاعة صوت العرب أصبحت محطة إذاعية رئيسية في حد ذاتها حيث كانت تذيع الآراء الثورية للنظام علي مدار ١٨ ساعة في اليوم في الوطن العربي ويلاحظ بويد(١٩٩٩) أن البث الإذاعي في مصر كان يستخدم للتعبئة السياسية من قبل الرئيس عبد الناصر وكذلك قادت الحكومات الجمهورية في ليبيا والعراق وسوريا واليمن.

تميزت البرامج الإذاعية في هذا العصر بإذاعة الأخبار والبرامج الحوارية السياسية الدعائية والبرامج الدينية والترفيهية وبرامج الوعي الاجتماعي والزراعي والبرامج الرياضية ، وبينما كانت تسعى المحطات الإذاعية لشغل الجماهير المحلية بمناقشاتها الحية علي الهواء إلا أن القضايا التي كانت تتناولها البرامج الإذاعية كانت في معظمها لها توجه خدمي مع القليل من الاهتمام بالقضايا السياسية الخاصة بالديمقراطية والمشاركة "عايش ١٩٩٠".

كان يشغل الحكومات العربية أن ترى جماهيرها تقع ضحية لفخاخ الإذاعات الدولية والإقليمية خاصة في حكم الحرب الباردة ويذكر عايش(١٩٩١)أن المستمعين في جميع أرجاء المنطقة كانوا يستطيعون أن يصلوا إلي الإذاعات الدولية من خلال محطات البث الدولية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية للتأكد من دقة الأخبار التي تنقلها الإذاعة التي تديرها الدولة. وتعتبر خدمة إذاعة ال BBC العربية والتي انطلقت في يناير ١٩٣٨ مصدراً هاماً للأخبار والمعلومات لدي الجماهير العربية علي مدار ٦ عقود تقريباً، و استطاعت خدمة إذاعة ال BBC العربية بما لديها من برامج سياسية موضوعية ومتوازنة أن توفر للمستمعين العرب فرصة الاستماع إلي نظريات وآراء متباينة بشأن قضايا تخص حياتهم. ومن الناحية الأخرى ، فشلت إذاعة صوت أمريكا في جبهة العالم العربي بصفة أساسية لأن الجماهير ربطت بين برامجها الإذاعية المتحيزة وسياسات الولايات المتحدة العدائية في المنطقة "عايش ١٩٨٧" ويشار إلي أن

محطات الإذاعة الدولية الأخرى ي فترة الحرب الباردة كانت تشمل راديو فرنسا الدولي وراديو موسكو "عايش وحجاب ١٩٨٨".

عصر العولمة

بدأ عصر العولمة في أوائل التسعينيات بتحولات دولية سياسية واقتصادية وتكنولوجية ضخمة جارفة في المنطقة وتأثر البث الإذاعي بهذه التغيرات في مناحي مختلفة، فمن الناحية المؤسسية لم يعد للدولة هيمنة علي الإذاعة كما سعت محطات الإذاعة أن يكون لها نصيب من هذا القطاع المتنامي وأصبحت المحطات الإذاعية الخاصة أسماء مألوفة في بعض البلدان مثل فلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومراكش ومصر، و يشار إلي أن انطلاق المحطات الإذاعية كجزء من إعلام المشترك واسع ومبادرات تجارية غير إعلامية قد ضمن مورداً مالياً ملائماً وثابتاً ولقد انعكس المضمون الرئيسي لهذا الاتجاه علي شكل البرامج أكثر من محتوياتها وذلك لتقديم المزيد من الترفيه والبرامج الإذاعية ذات النمط الغربي وأصبحت البرامج الحوارية الحية والتي تتناول القضايا العامة هي الشكل المتعارف عليه في الإذاعات العربية وخصوصاً في محطات FM في ضوء انتشار التليفونات المحمولة وتطور الاتصالات عن بعد والعمليات القائمة علي الإنترنت

في الستينيات و السبعينيات كانت تقاس كثافة انتشار الإذاعة من ناحية توفر أجهزة الاستقبال المألوفة (انكيلز وسميث١٩٧٤) وفي العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين كان يمكن الوصول إلي البرامج الإذاعية من خلال بث الأقمار الصناعية أو الإنترنت أو التلفونات المحمولة وهذا يبين أنه بالقدر الذي توجه فيه تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات تهديدات جادة للإذاعة إلا أنها قدمت منافذ جديدة للوصول إلي البرامج الإذاعية بجانب أجهزة الاستقبال التقليدية للإذاعة.

المشهد الإذاعي

أصبح التكتل الإعلامي مع نهاية القرن العشرين متجذراً في معظم مشاهد الاتصالات العربية ، من آثار متنوعة علي القنوات والمؤسسات الإعلامية بما فيها الإذاعة ولم تصبح الإذاعات العربية دولية بتغطيتها المحلية والوطنية فحسب ولكنها أيضاً طورت توجهات أوسع في عرض برامجها وذلك من خلال برامج أكثر انفتاحاً وليبرالية

ومحتوى ذي توجه ترفيهي من خلال موجاتها الهوائية . وفي تلك الأثناء مرت الصفة المؤسسية للمحطات الإذاعية بتغيرات هامة فيما يتعلق بأنماط الملكية حيث دخل المجال الكثير من مستثمري القطاع الخاص، وطبقاً لبيانات إتحاد إذاعات الدول العربية (ASBU 2007) واصلت الإذاعات الحكومية هيمنتها علي المشهد الإذاعي (ASBU 2007) ومن الناحية الأخرى تظهر محطات إذاعية تجارية في لبنان وفلسطين والأردن ومصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومراكش ويصف الجزء التالي مشهد البث الإذاعي علي مستوى الدولة والقطاعات الخاصة الناشئة.

تثبت بيانات إتحاد إذاعات البلدان العربية أن هناك أكثر من ٢٥٠ محطة إذاعية تديرها الحكومات في المنطقة حيث اعتمد معظمها في إرسالها علي موجات متوسطة إلي الجماهير علي المستوى المحلي والوطني ببرامج رسمية في الأخبار والثقافة والدين والتنمية الاجتماعية والاقتصاد، وتعمل محطات الإذاعة إلي حد ما كجزء من منظمات رسمية أو شبه رسمية أو مستقلة ذات استقلالية مالية وإدارية متفاوتة ، وبينما تعتمد كثير من المحطات علي الدعاية والإعلان لتمويل عملياتها إلا أنها تعتمد بشكل أساسي علي دعم الدولة لتغطية مرتبات الموظفين وتكاليف إنتاج البرامج بالإضافة إلي توفير المعدات ، وطبقاً لبيانات حديثة تساهم أموال الإعانات بشكل متزايد في ميزانيات الإذاعات الحكومية لأن الحكومات أصبحت تحت ظروف مالية طاحنة تمنعها من تلبية متطلبات العمليات الإذاعية المتزايدة (DARC ٢٠٠٦)، و قامت الكثير من المحطات الإذاعية بإنشاء شكل معين من وحدات تجارية وإعلانية كي تتولى توفير مصادر الدخل من خلال الإعلانات التجارية أو الرعاية المشتركة، و يلاحظ أن المشهد المتحجر البروتوكولي للبث الإذاعي كان يعتبر منذ فترة طويلة عاملاً مقيداً إزاء تطور هذا القطاع في ضوء خيبة أمل الجماهير المتزايدة في سياسات الدولة علي المستوى المحلي و الخارجي، ولقد أكدت العديد من الدراسات أن متابعة الجماهير للإذاعة الحكومية كان انتقائيا بشكل كبير حيث كانوا يركزون أكثر علي المحتوى الثقافي والترفيهي في حين كانوا يتحاشون البرامج السياسية كما كان واضحاً في النشرات والتعليقات الإخبارية.

باستثناء لبنان كان البث الإذاعي الخاص شيئاً جديداً في العالم العربي في عهد ما قبل العولمة فقد كان للبنان السبق في إنشاء محطات إذاعية خاصة تعتمد علي محتوى ترفيهي يخاطب في معظمه الشباب وشملت محطات الإذاعة غير الحكومية في لبنان أيضاً إذاعات خاصة بالجماعات والشخصيات السياسية الوطنية وبالتالي تعمل كناطق رسمي لهؤلاء الممثلين في المجال العام الوطني اللبناني وهنا يجب أن نشير إلي أنه عندما نتحدث عن المحطات الإذاعية الخاصة فان هذا لا يعني أننا نتحدث عن وسيلة اتصال سياسية منعزلة كليةً عن المصالح السياسية المسيطرة ووجد أن مالكي الإذاعات الخاصة كانوا إما سياسيين في السلطة أو رجال أعمال لهم مصالح قوية في دعم الأنظمة السياسية القائمة "صقر ١٩٩٩"، ولكن فيما يتعلق بالتمويل فإن هذه الخدمات لا تعتمد علي دعم الدولة في تمويل عملياتها.

كانت مصر وتونس من أوائل الدول في الشرق الأوسط التي تسمح بمحطات إذاعة خاصة بموجب إطار قانوني حيث أطلقت مصر "النيل FM و النجوم FM" في يوليو ٢٠٠٣ ثم تبعتها موزايك FM في نوفمبر من نفس العام وقد بدأت وزارة الإعلام في الكويت في منح تراخيص لمحطات إذاعية وتليفزيونية خاصة في نفس العام اتساقاً مع الاتجاه الليبرالي ، ثم منحت عمان بعد ذلك تراخيص لمحطات إذاعية وتليفزيونية خاصة وأصبحت سوريا آخر بلد يتخذ النهج الليبرالي وتخطط المملكة العربية السعودية حالياً لخصخصة بعض المحطات الإذاعية العامة وفي الإمارات العربية المتحد تلعب كل من شبكة إذاعة العرب ARN في دبي وشبكة إذاعة MBC دوراً فعالاً في المشهد الإذاعي الخاص وفي عام ٢٠٠١ أطلقت شبكة الإذاعة العربية محطة العربية ٩٨,٩ FM والتي تعمل علي مدار الساعة في إذاعة الموسيقى العربية والأخبار وبعد ذلك بفترة قصيرة أطلقت الشبكة خدمة إذاعية باللغة الإنجليزية وهي FM ٩٦,٧ Free FM و "١٠١,٦ City FM" وفي يناير من عام ٢٠٠٣ أطلقت الشبكة محطة الخليجية منشئة بذلك منبرا للموسيقي الخليجية و مانحة إياها مجالاً أوسع يعكس الجذور المتأصلة والتقاليد الإماراتية وتبعها بعد ذلك محطة FM 96.7 Hit والتي صممت لخدمة مصالح أكبر جماعة من المغتربين في الخليج وهم الملايا من كيرالا بالهند.

تعتبر الإذاعة مجالاً تتطور فيه التكنولوجيا وتتغير باستمرار وهناك العديد من التحالفات الإستراتيجية التي تضمن للمحطات الإماراتية أن تبقى متماشية مع هذه التطورات ومؤخراً أنشأت شبكة إذاعة العرب ARNتحالفا استراتيجياً مع النظام الإذاعي الرائد "Klotz" بغرض تطوير أجهزة الإذاعةبها(2007,UAE Interact).

طبقاً لدراسة أجريت في عام ٢٠٠٨ من قبل مجموعة من "الاستشاريين العرب" ومقرها الأردن أن عدد محطات ال FM الإذاعية في ١٨ دولة عربية ازداد إلي ٣١٦ محطة مقارنة ب ٢١١ محطة في فبراير من العام السابق ، وتحظى فلسطين والعراق ولبنان بأكبر عدد من المحطات الإذاعية الخاصة في حين أن البحرين والكويت وعمان سمحت للمحطات الخاصة فقط في عام ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦ علي التوالي (AME للمعلومات "٢٠٠٨ أ) و يتنوع المشهد الإقليمي من حيث عدد وملكية محطات ال FM : فالجزائر والإمارات لديهما أكبر عدد من محطات ال FM المحلية المملوكة للدولة في حين أن فلسطين ولبنان والعراق لديهم أكبر عدد من المحطات الإذاعية المحلية الخاصة وقد كشف البحث عن ٩ محطات إذاعية إقليمية ثبت إرسالها علي ترددات FM في أكثر من دولة ، وقد زادت هذه المحطات الإقليمية العدد الإجمالي لمحطات ال FM إلي ٣١٦ محطة في ١٨ دولة يغطيها البث الإذاعي.

كان التوجه الليبرالي في العديد من الدول العربية هو العامل الرئيسي وراء الطفرة في محطات ال FM الخاصة ، فعلي سبيل المثال أصبح لدى ليبيا وعمان محطات FM إذاعية خاصة لأول مرة في عام ٢٠٠٧ ، وبالإضافة إلي التوجه الليبرالي في هذا القطاع ، فإن الحاجة إلي الإذاعة بأكثر من لغة موجهة للمغتربين زادت من عدد محطات إذاعة ال FM حتى في الدول التي لا توجد بها محطات إذاعة FM وتعتبر الإمارات العربية المتحدة مثالاً واضحاً علي ذلك لأن بها محطات إذاعية FM بثت برامجها باللغة العربية والإنجليزية والمالايا لام والهندية والأوردو والفلبينية(AME للمعلومات ٢٠٠٨ أ).

إن الهيمنة المستمرة للحكومات علي البث الإذاعي في عصر العولمة كما يرى روج (٢٠٠٥) تعتمد علي عدة عوامل ، أولاً : أن الحكومات العربية تعتبر الإذاعة والتليفزيون أدوات سياسية محلية فعالة لأنهما يصلان إلي معظم السكان بغض النظر عن الأمية

و مستوى الدخل ، ثانيا : شهدت الإذاعة العربية أول توسع رئيسي لها خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت القومية العربية والعداء للاستعمار علي أشدهما ، وكانت الحكومات تواقة جداً لاستخدامها لأغراض البناء السياسي للدولة وللدفاع الوطني ، وقد بررت الحكومات سيطرتها علي الإذاعة علي أساس الحاجة إلي حماية الدولة من أعدائها القدامى والجدد ، وعلي نفس النهج كانت الإذاعة والتليفزيون أهدافاً رئيسية للثورات التي كانت تسعى للاستيلاء علي السلطة وبالتالي اتخذت الحكومات إجراءات خاصة لحمايتهما ، ثالثاً : تعتبر الإذاعة غير مربحة للمستثمرين لأن الإعلام في العالم العربي وخاصة في الإعلام الاليكتروني محدود نسبياً وعموماً ا تغطي عائدات الإعلام التكاليف ، ربعاً : تهتم الحكومات بصورتها التي تصل إلي الدول الأخرى من خلال البث الإذاعي ، ولذلك كانت تريد التحكم في البرامج ، وهناك بعض الاستثناءات وخصوصاً ي لبنان بين شركات التليفزيون الفضائي الجديد ولكن القاعدة هي تحكم الحكومة في البث الاليكتروني.

تنظيم البث الإذاعي

أثارت التحولات في بيئة البث الإذاعي الكثير من الجدل حول تنظيم قطاع السمعيات والبصريات ، وقد تم تداول مسألة تنظيم البث الإذاعي في العالم العربي علي نطاق واسع في السنوات الأخيرة في ضوء التطورات التكنولوجية والاجتماعية والسياسية المتسارعة في المنطقة ، فالحوارات التقليدية المتعلقة بندرة الأطياف واحتكار الحكومة وصلت إلي نهايتها مع دخول البث الرقمي للإذاعة وأساليب الإنتاج التي أدت إلي المزيد من الوفرة في موارد الإذاعة ، كما ساهمت أنظمة البث الفضائي في إحداث ثورة إذاعية وذلك بإدخال إشارات الراديو في هذه الأنظمة بما يسمح للمستمعين بمتابعة برامج الإذاعة حول العالم.

في أوائل عام ٢٠٠٨ كان ما يزيد علي ٣٤٠ محطة إذاعية تبث برامجها باستخدام أنظمة الأقمار الصناعية (ASBU ٢٠٠٨) كما أصبح الإنترنت مجالاً تستخدمه آلاف المحطات الإذاعية للوصول إلي الجماهير في مختلف الأقطار ، وفي مارس تعرف الكاتب علي ما يزيد عن ١٤٣ خدمة إذاعية تعتمد علي الإنترنت أطلقها القطاع الخاص باستخدام بوابات عادية ، وتحولت أجهزة التليفون المحمولة إلي ناقلة فعالة لإشارات

الراديو إما كأجهزة استقبال رقمية أو كأنظمة متصلة بالإنترنت ، ولقد مرت المجتمعات العربية بمتاعب اجتماعية وسياسية هائلة أدت إلي ظهور مؤسسات مجتمع مدني ذات كفاءة عالية وإلي ترتيبات تشاركية أكثر ليبرالية (لينتش ٢٠٠٦ ، عايش ٢٠٠٨).

علي الرغم من أن التنظيم يبدو له أولوية عند تناول البث الإذاعي في العالم العربي ، إلا أن الاتجاهات التنظيمية الداخلية في قطاع الإذاعة قد ابتليت بمشكلات خطيرة ، فقد أظهرت دراسة أجريت بشأن تنظيم البث الإذاعي في أربع دول عربية إنه لا يوجد إطار قانوني لتنظيم الوسيلة لا في مصر ولا سوريا في حين طورت كل من الأردن ولبنان قوانين جيدة للسمعيات والبصريات (معهد بانوسي ١٩/٢٠٠٦) وكان الهدف الأساسي للقانون هو إعادة تنظيم الإعلام الأردني وذلك بتشجيع الاستثمار الخاص وخصوصاً من الخارج في محطات الإذاعة والتليفزيون بالدولة ، ويسمح القانون بإطلاق محطة إذاعية عند الحصول علي الترخيص من هيئة السمعيات والبصريات وهي هيئة جيدة أنشئت بموجب القانون رقم ٧١ ، وفي لبنان تخضع هيئة الإذاعة والتليفزيون لاختصاص قانون عام ١٩٩٤ الذي يهدف إلي تنظيم البث الإذاعي والتليفزيوني بالإضافة إلي تنظيم كل المسائل التي لها صلة بالبث الإذاعي حيث يتطلب الأمر أن يكون هناك ترخيص قبل إنشاء آية محطة إذاعية أو تليفزيونية علي الأرض اللبنانية يصدره مجلس الوزراء بعد استشارة المجلس الوطني للسمعيات والبصريات ، ويحدد القانون أن الترخيص صالح لمدة ١٦ عام ويجدد بناء علي طلب يقدم قبل انتهاء الترخيص بثلاثة أعوام ويمنح هذا الترخيص للإذاعة والتليفزيون طبقاً لإمكانياتهما والخصائص الفنية لأجهزة الإرسال والإذاعة (معهد بانوس ٢٠٠٦) ، وفي يونيه عام ٢٠٠١ طلب مجلس السمعيات والبصريات اللبناني من المجلس التشريعي أن يصدر قوانين و مراسيم أخرى توضح أن معظم المحطات من الفئة (١) والفئة (٢) غير ملتزمة بالمواصفات التي وضعها القانون وعلي آية حال ، كانت أكثر المخالفات شيوعاً طبقاً لتقرير عام ٢٠٠١ هو تجاهل الترتيبات القانونية بشأن جداول البرامج وتحديد الأفكار الخاصة بكل فترة من اليوم وقد صدر آخر تقرير لمجلس السمعيات والبصريات في سبتمبر من عام ٢٠٠٥ حيث يلفت الانتباه إلي محتويات البرامج التي وجدت بها حالات عديدة من المخالفات.

علي المستوى العربي العام أقر وزراء الإعلام العرب وثيقة في عام ٢٠٠٨ بشأن تنظيم البث الإذاعي بالأقمار الصناعية والتي أحدثت مجادلات ساخنة بشأن التهديدات المحتملة لحرية التعبير (الإعلام العربي والمجتمع ، ٢٠٠٨) ، ويرى مؤيدو الوثيقة أن الأعداد غير المسبوقة من المنافذ الإعلامية الفضائية الجديدة تتطلب إطاراً قانونياً لضمان توافقها مع المعايير الدولية لعمل الإذاعة والتليفزيون ، ويؤكدون أن المقصود من الوثيقة هو تضمينها في الأنظمة التشريعية الوطنية للحد من الآثار السلبية لمحتوى بعض القنوات الفضائية علي الأفراد والمجتمعات (امين ٢٠٠٨) ، ومن الناحية الأخرى ، تعرضت الوثيقة للنقد من قبل جماعات حقوق الإنسان العربية والدولية الذين يصنفونها علي أنها انتهاكُ لحرية التعبير من أجل الترويج لسياسات الحكومات (خطاب ٢٠٠٨) ، وقد خصصت قناة الجزيرة الفضائية عدداً لا بأس به من البرامج الحوارية لجوانب معينة من الوثيقة ُيتصور أنها تعكس عداءً للمحطات الإذاعية الخاصة ، وبالتالي قامت قطر التي تحتضن قناة الجزيرة بالامتناع عن إقرار الوثيقة.

تمويل البث الإذاعي

بينما تحصل المحطات الإذاعية التي تخضع لسيطرة الدولة علي الدعم الحكومي وتكمله ببعض الإعلانات إلا أن المحطات الإذاعية الخاصة تعتمد علي الإعلانات والرعاية المشتركة بالإضافة إلي التمويل الحزبي لتغطية نفقاتها ، وطبقاً للبيانات المتاحة أخذ نصيب الإذاعة في الشرق الأوسط من كعكة الإعلانات في التناقص مع التوسع في القنوات الفضائية والاتصالات عبر شبكة الإنترنت ، و يشار إلي أن الإنفاق علي الإعلانات عي المستوى العالمي قد اقترب من ٤٨٦ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٠٨ أو ٦,٧ ٪ زيادة عن عام ٢٠٠٧ في حين بلغ الإنفاق في أمريكا الشمالية ١٩٥ مليار دولار أمريكي بما يعادل ٤,١ ٪ طبقاً لنشرة سوق الإعلان (زينيث أوبتدميديا ، ٢٠٠٨) ، وفي نفس الوقت ، من المتوقع أن يتضاعف الإعلان عن طريق الإنترنت ثلاث مرات خلال الثلاث سنوات القادمة طبقاً للنشرة ، ومن المتوقع أن يقفز الإنفاق علي الإعلان عن طريق الإنترنت من حوالي ٣٦ مليار دولار أمريكي إلي ٤٤,٦ مليار دولار أمريكي بنسبة ربح تصل إلي ٢٩,٩ ٪ ، وارتفع نصيب الإذاعة من الإنفاق علي الإعلانات من ٣٥,٣٧٧ مليار دولار في عام ٢٠٠٦ إلي ٣٧,٧٨٢ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٠٨ ، ومن المتوقع أن يصل

إلي ٤١.٠٣٢ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠١٠ ، وازداد الأنفاق علي الإعلانات في الإمارات العربية المتحدة من ٨٢٩ مليون دولار أمريكي في عام ٢٠٠٥ إلي ١.٣ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٠٧ ، و يعتبر هذا أعلى معدل في الشرق الأوسط حسب ما صرح به سبنسر فليكس مدير معرض إشارات البث والتصوير والإعلام (AME للمعلومات ، ٢٠٠٨ ب) الذي يعقد في مركز المعارض الوطني في أبو ظبي من ٢٥ حتى ٢٧ نوفمبر ، وقد ذهبت غالبية الأموال – حوالي ٦٤ ٪ - إلي الصحف العربية والإنجليزية ، وحصل التليفزيون علي ١٦ ٪ بينما حصلت المجلات علي ١٣ ٪ ، ويتوقع فليكس أن يزيد الإنفاق علي الإعلانات في الإمارات العربية المتحدة علي ٢ مليار دولار أمريكي بحلول عام ٢٠١٠ (أخبار الخليج ٢٠٠٨).

طبقاً ل "المجموعة الاستشارية العربية (٢٠٠٦) ازداد متوسط معدلات الإعلانات في محطات ال FM الإذاعية المحلية من ٨٨ دولار أمريكي في عام ٢٠٠٥ إلي ١٠١ دولار أمريكي لكل إعلان مدته ثلاثون ثانية في عام ٢٠٠٦ ، كما يلاحظ أن معدلات الإعلان علي المستوى العربي العام يفوق كلاً من معدلات الإعلان المحلية والإقليمية ويرجع هذا إلي الحقيقة بأن هذه المحطات العربية هي السبيل الوحيد لاستهداف السوق السعودية، ويمثل معدل الإعلانات الإقليمي متوسط أي إعلان مدته ثلاثون ثانية في البلاد التي ناقشها التقرير ، وهناك ثلاث أوقات ذروة وهي ٧- ٨ ، ١- ٢ و ٦- ٧ – تكون فيها معدلات الإعلانات في قمتها في المنطقة ، ويبين التحليل في التقرير أن معدلات الإعلان في عموم المنطقة العربية (وخصوصاً في البرامج التي تذيع موسيقى وترفيه) عادة ما تكون أعلى وذلك بسبب التغطية الإقليمية والجمهور المستهدف ، فعلى سبيل المثال ، تعتبر محطات ال FM التابعة لمجموعة MBC هي المحطات الوحيدة التي تقدم إعلانات تستهدف المملكة العربية السعودية (وهي أكبر سوق استهلاكي في العالم العربي) وهذا بالتأكيد السبب وراء معدلات الإعلانات المرتفعة بهذه المحطات.

جماهير الإذاعة

لقد كانت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات محل مناقشات علي مستوى كبير من ناحية أنها زادت من عملية الوصول إلي مصادر أكثر تنوعاً للمعلومات ، وينظر إلي القنوات الفضائية و الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) علي أنهما يؤثران علي

حجم ونوعية جماهير الإذاعة حيث المزيد من الناس الذين يستخدمون الإنترنت ويتابعون محتوى الفضائيات أكثر من أي وقت مضى ، ولكن كما تبين خبرة العقدين الماضيين تبقى الإذاعة مصدراً موثوقاً به للمعلومات بالنسبة للجماهير عبر المنطقة وخصوصاً في المناطق التي لا ينتشر فيها الإنترنت أو القنوات الفضائية ، وحتى في المدن الغنية بوسائل الإعلام مثل دبي و القاهرة والرياض وعمان وبيروت وبغداد، تبدو الإذاعة مفضلة خصوصاً لقائدي السيارات الذين قد يقضون ساعات في ورطة الاختناقات المرورية ، ومن الناحية الأخرى ، هناك نقص واضح في البيانات الصادقة والدولية بشأن جماهير الإذاعة حيث يقضي باحثو السوق وقتاً أكثر في دراسة القنوات الفضائية والإعلام القائم علي الإنترنت.

يبدو أن قلة البيانات عن جماهير الإذاعة مردها هيمنة التصورات التقليدية عن الإذاعة في سياق استقبال جهاز الراديو ، حيث لا توجد تقارير عن مستمعي الإذاعة ومجتمعاتهم لأن منظمات المسح المستقلة ومراكز الأبحاث المتخصصة غير مهتمة بهذه الموضوعات (معهد بانوس ١٨/٢٠٠٦) ، ويلاحظ أن البيانات المتاحة مبنية علي الأبحاث التي تمولها المحطات الإذاعية وذلك لإقناع الرعاة أو الشركات التجارية أنها قادرة علي المنافسة وأنها غالباً ما تستجيب للأوامر الإعلانية كما هو الحال في لبنان ، ولكن علي الرغم من ندرة البيانات عن واقع الاستماع إلي الإذاعة ، يبدو أن هناك اتفاقاً علي نطاق واسع بضرورة بقاء تلك الوسيلة حيث تجد لها مكاناً في سوق إعلامي متطور ، وبينما تعتمد النتائج التقليدية لقياس نسبة الاستماع للإذاعة علي حساب إعداد أجهزة استقبال الإذاعة مقابل التعداد الكلي للسكان إلا أن حسابات الاتصالات القائمة علي الإذاعة أصبحت تضم أجهزة استقبال الأقمار الصناعية ، والإنترنت ونظم التليفونات المحمولة ، ولقد تحول قائدو السيارات في المدن المزدحمة إلي مستمعين نشطين للإذاعة وذلك للتعامل مع رحلاتهم الطويلة وبالتالي فإن كل هذه التطورات التكنولوجية يجب أن تؤدي إلي أساليب جديدة وإبداعية لتوثيق الأمر الواقع بشأن الاستماع إلي الإذاعة ، ومن الناحية الأخرى ، علي المرء أن يعترف بأن الإذاعة لازالت تواجه تحديات جديدة نابعة من الثورة التكنولوجية نفسها والتي أعطتها تلك الدفعة ،

فالتليفزيون والإنترنت القائمة علي الوسائط المتعددة تجتذب شباب الجماهير بعيداً عن الإعلام التقليدي كالصحف والراديو اللاسلكي.

لقد أوضح تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٤ أن الأردن التي تبلغ نسبة الأميين فيها ١٠,٣ ٪ من إجمالي عدد السكان ولا يمكن لأكثر من ٦,٣ ٪ من الأسر أن تصل إلي الإنترنت ، كما أن ٧٩,٧ ٪ من السكان يمتلكون أجهزة راديو ، و ٩٧,٢ ٪ يمتلكون جهاز تليفزيون و ٤٦,٩ ٪ لديهم أطباق للقنوات الفضائية (تقرير الأمم المتحدة ٢٠٠٤) ، وفي مصر يستمع ثلثا السكان تقريباً إلي الإذاعة كل يوم وخصوصاً إلي الأخبار والبرامج الدينية ، وفي فلسطين أجرت جامعة بيرزيت استطلاع رأي علي عينة من ١١٨٤ فلسطينياً يعيشون في الضفة الغربية وغزة بشأن تغطية الانتفاضة من قبل المحطات الإذاعية المستقلة وطبقاً للنتائج المنشورة في يونيو عام ٢٠٠١ ، صرح ٣٦ ٪ ممن أجريت معهم المقابلة أنه لم يكن باستطاعتهم التعبير عن آرائهم بشأن محتوى البرامج الإذاعية لأنهم إما لم يسجلوا أسماءهم أو لم يولوا اهتماماً للطريقة التي تعامل بها الأحداث وأن ٤٦ ٪ فقط يثقون في المعلومات التي تنقلها هذه المحطات و ١٥ ٪ فقط يصدقونها بشكل مقبول و ٥ ٪ فقط لا يثقون فيها (مركز أولوف بالم الدولي ٢٠٠١) ، وفي دراسة أخرى أجرتها شركة خاصة في لبنان في أغسطس عام ٢٠٠٥ علي عينة من ٦٠٠ مستمع ، تبين النسب التالية كيف تتباين نسبة الاستماع إلي المحطات الإذاعية باللغة العربية : صوت الغد (٤٠,٣ ٪) ، راديو دلتا (٢٠,٥ ٪) راديو سترايك (٢٠ ٪) ، وصوت الموسيقى (١٢,٧ ٪) ومن الناحية الأخرى ، هناك تباين أيضاً في نسبة الاستماع إلي المحطات التالية الناطقة باللغات الأجنبية : نوستالجي (١٨,٧ ٪) راديو وان (٨,٥ ٪) و FM Mix (١٪) (معهد بانوس ٢٠٠٦).

برامج الإذاعة

من الصعب تبرير كل أشكال البرامج التي تبثها الإذاعة في العالم العربي وعلي آية حال تبين دراسة أجريت علي جداول البرامج الإذاعية لما يزيد علي ٥٠ محطة إذاعية النتائج التالية : الترفيه ٤٣ ٪ ، الأخبار والشئون العامة ٢٣ ٪ والدين والثقافة ٨ ٪ ، والأسرة والطفل ٧ ٪ ، الرياضة ٤ ٪ ، تنمية المجتمع ١١ ٪ ، أمور أخرى ٤ ٪ " ASBU 2007" ، وبالنسبة لأشكال البرامج وجد أن البرامج الغنائية والترفيهية المسجلة هي

الغالبة في حين أن البرامج الحوارية الحية علي الهواء حازت علي أهمية إضافية كما أن الموضوعات التي يتم مناقشتها في البرامج التي تسمح بمداخلات تليفونية كانت في الغالب تحظى باهتمام الأجيال الشابة في حين أن البرامج الحوارية تتناول قضايا تتعلق بأمور الحياة من منظور إسلامي مثل المشكلات الاجتماعية والمشكلات اليومية وأمور أخرى، وتواصل البرامج الإذاعية ذات التوجه الخدمي هيمنتها علي عروض البرامج وذلك بتقديم برامج تتناول المشكلات والاهتمامات اليومية (معهد بانوس ٢٠٠٦) و توضح الأرقام الرسمية في ٩ محطات إذاعية تابعة للدولة في مصر أنه بين ١ يوليو عام ٢٠٠٠ و ٣٠ يونيو ٢٠٠١ كانت الأخبار تشكل. ٦، ٪ من البرامج العامة والبرامج السياسية ٩,١ ٪ والبرامج الدينية ١٥ ٪ والبرامج الترفيهية ٣٣,٢٪ والبرامج التعليمية ١,٢ ٪ وقد لاحظ أحد الباحثين في أوائل عام ٢٠٠٨ أن البرامج الدينية أصبحت أكثر أهمية في المحطات المحلية مع وجود أكثر من ١٠ برامج إذاعية مخصصة للقرآن الكريم.

يعتبر الدين مكوناً رئيسياً للقيم والتقاليد الاجتماعية في العالم العربي ومن المحتمل أن يبقى كذلك ، ويعتبر البث الإذاعي ناقلاً رئيسياً للبرامج ذات التوجه الإسلامي علي شكل برامج حوارية ومقابلات وخطابات مباشرة ومواعظ وترتيلات قرآنية وتغطية حية للصلوات والحج وأحداث أخرى ولقد أطلقت بعض الدول العربية خدمات إذاعية مخصصة لقراءة القرآن وفي الكثير من البرامج عادة ما يوجه المستمعون أسئلة عن موقف الإسلام في خبرات الحياة المعاصرة بالإضافة إلي التعاليم الدينية العامة ، وتعتبر البرامج الدينية أكثر شيوعاً في الإذاعات التي تديرها الدولة من الإذاعات الخاصة بالرغم من أن كل المحطات تذيع أذان الصلوات حياً علي المستمعين ويشار إلي أن سيطرة الحكومات علي البث الإذاعي يعتبر مفيداً في ضمان حوار ديني رشيد ومتوازن علي الهواء في عصر يتميز بالتطرف الديني وتظل التسلية فئة البرامج المهيمنة علي خدمات الإذاعة العربية حيث أن الموسيقى والأغاني العربية بالإضافة إلي بعض المسلسلات تعتبر أكثر شيوعاً في الخدمات الإذاعية التي تسيطر عليها الدولة في حين تبدو الإذاعات الخاصة أنها تولي أولوية للموسيقى ذات الطابع العربي التي تروق كثيراً

للمستمعين كما خصصت بعض المحطات للموسيقى الكلاسيكية في حين اختارت محطات أخرى برامج موسيقية ذات طابع عربي.

الأدوار

إن أحد الأسئلة القيمة التي غالباً ما يواجهها الباحثون في العالم العربي هو إلي أي مدى تسهم الإذاعة في إقامة نظم الحكم في المنطقة ، وعندما تناول الباحثون هذا السؤال لاحظوا أن الإذاعة ليس بإمكانها أن تلعب دوراً نشطاً في الإصلاح الديمقراطي طالما تخضع لكل من سيطرة الدولة والمضاربات التجارية الخاصة ، لقد تمكنت المحطات الإذاعية في الواقع من إنشاء مؤسسات غير حكومية لا تخضع للسيطرة الإدارية أو التحريرية للدولة ، ومع ذلك ، يبدو أنها فشلت في أن تضع لنفسها مساراً مستقلاً للصحافة المعارضة تستطيع أن تمكنها من الوقوف أمام تجاوزات الحكومة في الحياة العامة ، ويكفي أن يكون هناك قدر ضئيل من الموارد وبعض الأطر القانونية لإنشاء إذاعة ما ولكن لكي نجعلها جزءاً فعالاً من التحول السياسي يجب أن نبني ثقافة سياسية واسعة من التنوع و الاستقلال الإعلامي الذي يبدو أنه غير متوفر في العالم العربي كما نوهنا سابقاً ، و يشار إلي أنه كان يعهد للإذاعة في عصر ما بعد الاستعمار- بدور تنموي وطني للإسهام في محاولات الأمم الجديدة لبناء قدراتها الوطنية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ولا يزال هذا الدور التقليدي مستمراً في تحديد الخدمات الإذاعية في جميع الدول العربية خصوصاً الإذاعات التي تخضع لرقابة الدولة التي ترى نفسها مروجة لتوجهات ومشروعات التنمية في الدولة ، ومن الناحية التقليدية كان هذا الدور فعالاً في محاولات الحكومة الوصول إلي الجماهير في المناطق النائية التي تتميز بمعدلات عالية للأمية ، وعلي آية حال ، عندما بدأ الإنتاج الاقتصادي الوطني في التحرك نحو المراكز الحضرية التي تضم قطاعات صناعية وخدمية بدأت جموع الريفيين في فقدان بعض من جاذبيتها كأهداف رئيسية للخدمات الإذاعية التي تديرها الدولة ، كما أن قضايا الجريمة الحضرية والبطالة والتضخم و الخدمات الاجتماعية وتلوث البيئة قد بدأت تأخذ حيزاً في النقاشات الوطنية عبر العالم العربي وكانت الإذاعة هي الساحة المناسبة لهذه المناقشات (جيمس ١٩٧٩) .

يختل دور الإذاعة كأداة للتواصل السياسي من بلد عربي إلي بلد عربي آخر ،فكثير من الخدمات الإذاعية تعمل كوسائل دعائية لحكوماتها ومن الناحية الأخرى ، اتخذت بعض المحطات الإذاعية في فلسطين والأردن ولبنان أدواراً سياسية كأصوات للمجتمعات المدنية حيث تقدم برامج تنتقد حكوماتها ومثال علي ذلك "عمان نت" ، ولقد قام ماديسون وجون (ماديسون ١٩٧١) بمسح ٥٠ دولة بما فيها الجزائر والسودان وتونس ومصر في أوائل السبعينيات للتعرف علي أحوال البث الإذاعي و أدواره ، وتوصلت الدراسة إلي أن كل الأساليب المختلفة لاستخدام الإذاعة والتليفزيون يجب أن تستغل تماماً في كل البلاد التي بها مشكلة أمية كبيرة ، ويجب أن يكون ذلك جزءاً من خطة شاملة لتطوير أساليب جديدة في الاتصال بغرض التقدم الاقتصادي والاجتماعي (وخصوصاً التعليمي) وتطالب الدراسة بأبحاث في "الأساليب" و "المواد" بالإضافة إلي أن هناك حاجة إلي مراكز وبرامج للتدريب لمنسوبي الإذاعة.

لقد عملت الإذاعة بشكل عام كأداة للإثراء الثقافي في العالم العربي مع وجود محطات إذاعية تقدم برامج عن الثقافة والتراث الوطنيين ، وقد لوحظ في كل الدول العربية عدد من البرامج الإذاعية التي تسعى إلي تعزيز الهوية الثقافية والوطنية بين أفراد المجتمع بالتركيز علي التاريخ القديم والمعاصر ، هذه البرامج تغطي مساحة عريضة من القضايا الثقافية مثل القيم والتقاليد الاجتماعية والحرف والرياضة التقليدية والأعمال الأدبية ، والفنون الشعبية وغير ذلك ، كما أجريت في أواسط السبعينيات دراسة أخرى علي الإذاعة في العالم الثالث وتوصلت إلي أن الإذاعة ذات فائدة كبرى في الاتصال الجماهيري وفي مجالات التعليم و التنمية الثقافي وجهود بناء القدرة (كاتز و ويدل ١٩٧٧) ، فهي تذيع برامج حية علي الهواء للأحداث الثقافية مثل سباق الهجن أو الخيل والمهرجانات الفنية والمسابقات الشعرية ، ويعتمد معظم البرامج الإذاعية علي صيغ مسجلة وحوارية لإيصال رسالتها.

علي الرغم من التوسع التكنولوجي في البث الإذاعي في العالم العربي والذي يتميز بأساليب الإنتاج و البث الرقمية واستخدام الإنترنت وأنظمة الأقمار الصناعية وقنوات الاتصال لإيصال محتواه ، إلا أن دور الإذاعة في الحياة العامة لا يزال ضبابياً إلي حد كبير نظرا لندرة البيانات البحثية ، وإذا كانت فترتا الستينيات والسبعينيات هي

السنوات الذهبية للبث الإذاعي العربي بسبب التوسعات في العمليات الإذاعية وتهيئة تلك الوسيلة لكي تخدم أهداف التنمية الوطنية إلا أن عصر العولمة هو عصر التقارب التكنولوجي بالإضافة إلي انتشار روح الديمقراطية في المنطقة العربية ، ولكن السؤال الجدير بالطرح هو المدى الذي يمكن أن يلعب فيه البث الإذاعي دوراً حيوياً في الترويج للحكم التشاركي وحرية التعبير و حقوق الإنسان حيث إن الحقيقة هي أن الإذاعة تظل بشكل كبير تحت سيطرة الحكومة وبالتالي يتوجب عليها أن تعكس توجهات الدولة السائدة وأن يكون لديها فرصة ضئيلة للوصول إلي الأصوات الأخرى ، ولكن كما بينت خبرة الحقبة الماضية ، فإن البث الإذاعي – نظراً لقدرته الفريدة علي الوصول إلي الجماهير في المناطق النائية والمتناثرة – يظل قوة يعتد بها في المجال العربي الحالي، فموجات الأثير مليئة بالمناقشات الجريئة والناقدة للقضايا العامة في المحطات الإذاعية في لبنان والأردن والعراق وفلسطين كما أن الحديث عن دور الإذاعة في المجال العام بين أن الإذاعة لن تتحول إلي أداة للاتصال السياسي الفعال إلا إذا تكونت بيئة ديمقراطية حقيقة في المجتمعات العربية.

لقد برزت عمان نت - وهي محطة FM ، وتعتمد علي الإنترنت في الأردن - كمثال رائع للطريقة التي يمكن بها للتكتل بين التكنولوجيا الحديثة والديمقراطية السياسية أن يحدث تغيرات في دور الإعلام في المجتمع ، ففي خريف عام ٢٠٠٠ - استطاع مؤسسها داود قطب مع مجموعة من الإعلاميين المستقلين في عمان - الأردن - وبالاستعانة بالإمكانيات التي توفرها الإنترنت أن يطلق "عمان نت" كأول إذاعة عربية تبث عن طريق الإنترنت ، وبتمويل من معهد المجتمع المفتوح وبلدية عمان واليونسكو انطلقت المحطة القائمة علي الإنترنت في ١٥ نوفمبر ، وبدأت "عمان نت" عامها الأول تحت رعاية اليونسكو وبلدية عمان الكبرى ، وبدأت بثها أرضياً علي تردد ٩٢.٤ FM في محيط العاصمة عمان في صيف ٢٠٠٥ (عمان نت ٢٠٠٨) ، وطبقاً للترخيص الممنوح لها كان محتواها يضم برامج عامة مع استبعاد السياسة والأخبار ، ولكن في سبتمبر من نفس العام ، أصبحت أول محطة إذاعية خاصة تبث الأخبار ، وطبقاً لأحد مؤسسيها ، سجلت "عمان نت" نجاحاً ملموساً في تناول القضايا العامة في الأردن ، التي تشمل التحقيق في محاولات بلدية عمان إغلاق المحلات في أحد الأحياء الفقيرة (مادانات

٢٠٠٨) كذلك اجتذبت حملة نظمت علي "عمان نت" لتحرير السجناء الأردنيين في السجون الإسرائيلية مشاركة شعبية واسعة وشكلت ضغطاً علي الحكومة الأردنية لوضع هذه القضية في أولوياتها ، حيث حرر معظم السجناء و أرسلوا إلي الأردن لقضاء العقوبة هناك ، وتجهز "عمان نت" لحملة أخرى لتحرير نحو ٢١٥ سجيناً أردنياً في السجون السورية بعضهم مسجون منذ ثلاثين عاماً ، والمثال الآخر هو أزمة اللاجئين علي الحدود العراقية حيث أصاب التهميش هذه القضية وسط القضايا الوطنية الأخرى فقد صدر تقرير من أحد المذيعين بالمحطة ثم تلاه تغيير مدير المعسكر وأصبح المجتمع المدني أكثر انشغالاً بالقضية.

البث الإذاعي الدولي باللغة العربية

يلاحظ وجود البث الإذاعي الدولي باللغة العربية منذ العقود السبعة الماضية حيث هناك بث إذاعي آت من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وكندا وروسيا وألمانيا إلي العالم العربي ، ولقد أشرنا سابقاً إلي أن الإذاعات الدولية بدأت في عام ١٩٣٧ كجزء من التنافس الاستعماري ثم تحولت إلي أداة لسياسات الحرب الباردة من الخمسينيات حتى أواسط الثمانينيات ، وتبقى ال BBC أعظم محطة إذاعية حيث حظيت بجمهور ضخم من خلال إرسالها علي الموجات المتوسطة والقصيرة (بويد ١٩٩٧) ، ولقد كونت ال BBC خلال ما يزيد علي سبعين سنة علاقات قوية مع الجماهير من خلال تمسكها بمعايير الصحافة الإذاعية المحترفة وتقديرها للحضارة العربية والإسلامية بما فيها اللغة العربية ، وفي عصر ما بعد الاستعمار كانت ال BBC تقدم نفسها كبديل للخدمات الإذاعية الوطنية مثل صوت العرب و محطات إقليمية أخرى ، وبجانب صوت أمريكا ، وراديو موسكو ، راديو مونت كارلو ، وراديو فرنسا الدولي ، خلقت ال BBC مجالاً عاماً جديداً وجد فيه المستمعون العرب فرصاً ثمينة للتعبير لا يجدونها في نظمهم الإعلامية الوطنية.

بدأ مفهوم البث الإذاعي الدولي في العقد الماضي في التغير مع مقدم التليفزيون الفضائي و الإنترنت ، حيث كان يمكن للقليل من الناس الاستماع إلي الإرسال علي الموجات القصيرة ولكن أصبح بإمكانهم الوصول إلي برامج من خلال أجهزة استقبال البث الفضائي أو الإنترنت أو التليفونات المحمولة ، ولقد تكيفت المحطات الإذاعية مع

التطورات التكنولوجية الحديثة وذلك بدمج خدماتها الإذاعية في نظام الوسائط المتعددة الجديد وبدأت أيضاً في إذاعة برامجها علي محطات ال FM المحلية لضمان برامج ذات نوعية جيدة لمستمعيها ، وكذلك كان الحال مع BBC العربية ، وراديو سوا ، وراديو مونت كارلو ، ولقد منحت الحكومات العربية الإذاعات الدولية حقوق استخدم الترددات المحلية مقابل رسوم كجزء من إجراءات الترخيص ، وعلى الرغم من أن ال BBC قد نوعت من برامجها الإخبارية والخاصة بالشئون العامة ، إلا أن راديو "سوا" يظل يقدم برامج لها توجه التسلية حيث برامج حوارية وموسيقية ذات توجه غربي بالإضافة إلي نشرة إخبارية كل ٣٠ دقيقة ، وكما كشفت بعض الأبحاث عن السوق ، يعاني راديو سوا من نفس المشكلات التي كان يعاني منها صوت أمريكا باللغة العربية وهي المصداقية (النواوي ٢٠٠٦) حيث لا يزال العرب ينظرون إلي راديو "سوا" علي أنه جزء من وزارة الخارجية الأمريكية التي تنفذ ما يعتبرونه "سياسات أمريكية ظالمة ومتحيزة" في العالم العربي.

خاتمة

لقد أحدثت تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات زخماً غير مسبوق في برامج الإذاعة ، ويتساءل هذا الفصل فيما لو كانت هذه التحولات الضخمة قد خلقت أدواراً اجتماعية أكبر للإذاعة في مشهد إعلامي يتميز بهيمنة سياسية قوية واتجاه عالمي يغلب عليه الطابع التجاري ، وعلي الرغم من أن قلة البحوث التجريبية في هذا الموضوع يبدو أنها تعوق الوصول إلي استنتاجات صادقة بشأن إسهامات الإذاعة في الترويج للتحول الديمقراطي والعدالة الاجتماعية ، إلا أنه من الواضح أن الإذاعة قد تحولت في العالم العربي إلي منتدى للنقاشات التقليدية و غير السياسية للقضايا العامة وإلي إدارة للدبلوماسية الخارجية العامة في المنطقة وكمنفذ لخلق دخل تجاري للمحطات الإذاعية الخاصة ، وطبقاً لتقرير صادر عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان في عام ٢٠٠٦ فإن البث الإذاعي من المحتمل جداً أن يبقى علي السطح في هذا المجال العام دائم التطور ، وعموماً فإن إسهاماته المستقبلية في الترويج للتحول الديمقراطي في المنطقة سوف تكون طوع طبيعة التحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية ، ويشار إلي أن ظهور برامج خاصة بالشأن العام في دول مثل فلسطين ولبنان ومراكش وعراق ما بعد صدام بالمقارنة ببرامج التسلية والبرامج الثقافية يشير إلي دور أكثر فعالية للإذاعة في الحياة العامة ، و كما تبين الخبرة علي أرض الواقع ، فإن الإذاعة قد أسهمت في استمرار الانقسامات السياسية والطائفية أكثر من تقوية الإحساس بالوحدة الوطنية ، وتعتبر هذه النقيصة علامة مميزة للسياسة العربية أكثر من الإذاعة ، ولذلك يجب وضع ميثاق جديد للبث الإذاعي قائم علي الاهتمام بالمجتمع المدني و مزيد من الابتعاد عن الحكومة ومزيد من الاستقلال عن المصالح التجارية.